

كلمة فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

بمناسبة اليوم الوطني للطلاب
غرداية، 19 مايو 2008



بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

نطل على مجد آخر من أمجاد تاريخنا هذه المرة، من إحدى قلاع الجزائر، من منطقة غرداية رمز المدنية، ومرقى الحضارة، وإحدى مرابض الوحدة الوطنية، التي انعقدت فيها العروة الوثقى لهوية الشعب الجزائري وأصالته وحضارته.

لقد أطل، من شموخ واحاتها ومن بين ظهراني أهلها الأمجاد، النور الذي شع منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا من سنى الإسلام، صانع ذلك الناف الروحي والاجتماعي والحضاري للآمازيغ والعرب، فما انفصل وما انفصم، وإنما تعاود وانصهر، وألف بين الأفئدة، وأمد الجسور بين الكتبان والتلال وأصلا شمال الوطن بجنوبه، ليغدو جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

تلك هي غرداية باب من أبواب جنات الجزائر، تقضي إلى الصحراء السمحة المعطاء، إفضاءها إلى الشمال الذي يفرش السندس الخضر ويتوسد البحر الأبيض، جاعلة من بلدنا قصيدة شاعر، ولوحة رسام، ونشيد زمن، لا تنتهي به الأيام.

فتحية لأهلنا في هذه الربوع وسلام على أهالي هذه الناحية المعمد ترابها بالشهادة والمحبة. نقيم احتفالنا هذه السنة في غرداية بالذكرى الثانية والخمسين لتلك الهبة المقدم لفلذات أكبادنا تلاميذ وطلابا، فتيات وفتيانا، يوم استهزؤوا بالخطر، واستسهلوا الصعب، واستبدلوا البنادق بالأقلام واستعاضوا عن الشهادة الورقية بالشهادة على مذبح الحق والحرية.

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

في مثل هذا الربيع من سنة 1956 لبي فتية في سن الزهور نداء الوطن، استباح الاحتلال سيادته، وأعمل معاوله في جزئياته وكياناته، وسلبه حقوق شعبه وإنسانه، وطمس هويته، ومكونات حضارته، حتى إذا ما ظن أنه استكمل مخطط المحو، واستتب له الأمر، زلزلت الأرض من تحت أقدامه، انتفض الشعب فزال الكفن والقبر، فكانت تلك النقلة النوعية، وتلك الهبة المقدم لفتية آمنوا بربهم وشعبهم، فتصالحوا مع أمل شعبهم وتطلعه للحرية والسيادة والكرامة، فصدق التاريخ رؤاهم، وأكدت الأيام بعد نظرهم، وشهد لهم العالم بشرعية القضية، وبحصافة النظر، فكان النصر نتيجة حتمية لحكمة المسعى.

وحين انجلى غبار معركة التحرير عن ذلك النصر المبين، تبين أن حملة حدس الثورة، ثم لوائها، من رجيل نوفمبر 1954، الذين تميزوا بالبساطة والإيثار ونكران الذات، لم يكونوا رجالا مغامرين أو يائسين أو مرتجلين، ولكن كانوا وطنيين مؤمنين بقضيتهم العادلة، وقوة شعبهم الكامنة، فاقترحوا الميدان مستشرقين المستقبل وما يحبل به من نتائج زاهرة من تراكم نضال شعبهم في المقاومة المسلحة، والمقاومة السلمية، فنفذوا ببصيرتهم إلى روح العصر. إن المتدبر في الإجراء التحرري الوطني والعالمي، يدرك مدى الفضائل التي أهدتها ثورات التحرير، لتاريخ الإنسان، فبفضلها أعيد الحق المهذور للشرف الآدمي، والعدالة الكونية، فهو المقدمة الحتمية لكل تعايش سلمي، وتعاون اقتصادي، وتوافق سياسي لخدمة أبناء المعمورة دون تمييز أو إقصاء.

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

إن الحدث التاريخي الهام، الذي نعيش اليوم ذكره المجيدة، هو لبنة في صرح النسق الشامل للثورة الجزائرية، التي التأمّت في صلبها فئات الشعب، واعتنقت الأمة قيمها، وآمنت بفلسفتها المستمدة من تراكم الخبرات والتجارب النضالية، ونضوج الأفكار التحررية التي ألهج بها شعبنا في صراعه مع العدو، بحيث لم يكن مولد الثورة من عدم، بل من ظرف مكتمل الشروط، وفكر واع ناضج، وإرادة نافذة صلبة، آية كل ذلك انخراط تلامذتنا وطلابنا في صفوف الثورة في شهر ماي من العام 1956 لتلتحم حلقات الكفاح، التي تلتئم بها دورة التاريخ النضالي لشعبنا. فعلة هذه الخلفية التي يعرفها الجميع في قناعات المحتل، الذي مارس سياسة الأرض المحروقة والذاكرة المحروقة على الإنسان الجزائري، تولدت فكرة إنشاء تنظيم طلابي هدفه مغالبة ومقاومة السياسة التعليمية الاستعمارية والدفاع عن حقوق الطلبة الجزائريين والشمال إفريقيين منذ سنة 1918، التي أسسوا فيها ودادية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالجزائر، وقد نصت بنودها على جملة من الأفكار التحررية والمطلبية السامية وتطورت الودادية سنة 1931 فأصبحت جمعية الطلبة المسلمين، لشمال إفريقيا، أنشأت مجلة لتكون لسان حالها، ولكن ما كادت تصدر حتى صادرها المحتل ووأدها في المهذو وامتدت يده إلى منع هذه الجمعية في أقطار المغرب العربي لتهاجر إلى أوروبا، وظلت مطاردة من قبل جهاز الأمن الفرنسي عبر السنين، لا تنعقد إلا لماما في إحدى مدن مغربنا بالتناوب ورغم الإبادة، والتهجير، وتصفية رجال العلم والمعرفة، جسديا أو ثقافيا وذهنيا بمخططات غاية في الإجرام والفظاظة، فإن الشعب لم يستكن بل استمر يمانع ويقاوم مستمسكا بخيار العلم تحديا للطاغوت، فأكثر من الكاتيب والمدارس الحرة، وأرسل بنييه إلى الجامعات التقليدية في المغرب وتونس ومصر والحجاز وغيرها، فكان من بين هذه البعثات رجال، رفعوا لواء العلم، وحموا الهوية، ودافعوا عن الشخصية الوطنية من أخطار التذويب،

ولقنوا قيم التحرر والثورة.

وأسماء أخرى حظيت بدخول المدارس الفرنسية، فأثقت اللسان الأجنبي واطلعت على ما في حضارات الغرب من كنوز، ولكن لم تستلب، ولم تغترب، بل تأصلت في مريض أمتها وارتوت من معين حضارتها، لتكيل للاستعمار الصاع صاعين، وهو الذي عمل واهما على أن يجعل عن هذا الطريق طابوا خامسا،

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده تصيده الضرغام في ما تصيدا

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

انتمى العديد من الطلبة إلى صفوف الثورة منذ اللحظة الأولى، وكان منهم القادة والشهداء الأبرار، ولكن تأجل موعد الالتحاق العام إلى 19 ماي 1956 بتوجيهات من قادة الثورة، التي كما تعلمون قد استشرفت في إستراتيجيتها خططا لتنظيم الاتحادات والهيئات، لتكون السند القوي والمنظم لعمل ثوري حضاري له طاقة تعبوية كبيرة، وتأثير إعلامي عالمي في الصراع المحتدم مع المحتل.

بعد مخاض عسير من النضال والصراع الطلابي، مع إدارة الاحتلال منذ مطلع القرن العشرين إلى يوم 8 جويلية 1955، تاريخ انعقاد المؤتمر التأسيسي، لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين حيث تشكلت لجان، ووضعت أهداف تبعتها مواقف قوية للطلبة، أخرجت إدارة المحتل، التي سعت إلى التضييق على الطلبة، وتقسيم صفوفهم، ونهيم عن بلوغ مأربهم، في مؤازرة الثورة، ولكن وعيهم، وإيمانهم بشرعية قضية شعبهم، وتصميمهم على انتزاع الحق المهذور عشرات السنين، جاء بأمر من الثورة قرار الإلحاق الجماعي وهجرة مقاعد الدراسة والتحصيل، فتنافس المتنافسون، أطفالا وفتيانا في مقبل العمر بنات وذكورا، وقالوا جميعا بصوت واحد عاصف كالإعصار فلنهجّر مقاعد الجامعات والمدارس ونتوجه إلى الجبال والأوعار، لنلتحق كافة بجيش التحرير الوطني وبمنظمتها، السياسية، جبهة التحرير الوطني ومن يقرأ اليوم بأناة وتدبر بيانهم، يقف على عبر ودروس هي من الصواب والحكمة بحيث، تستحق الدرس والتحليل، والإشادة والعرفان.

قد كان قرار التلاميذ والطلبة، قاصما لظهر المحتل، الذي أمعن في وصف ثوارنا بالفلاقة والجهلة والمحرومين، والخارجين عن القانون. فإذا به يفاجأ بالفئة المتعلمة الناشئة تحمل لواء الجهاد والمقاومة، وكم كان، لهؤلاء المتعلمين الشباب، من قيمة، ووزن مادي وفكري، أنضافا إلى حركية الثورة، فأثروا أيما إثراء، بحسن بلائهم وكفاءاتهم، ففويت بهم الثقة في الانتصار، وقر في أذهان الشعب كما في أذهان المحتلين أن لا تراجع

في معركة التحرير ، وأن ميلاد الدولة الجزائرية السيدة ليس ببعيد .
 وحرى بنا أن نشير إلى أن الدور المشرف لهؤلاء التلاميذ والطلبة ، كان عاما وشاملا ،
 بالنسبة للذين كانوا تحت لواء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أو للذين كانوا في بلدان
 بعيدة في المشرق والمغرب ، بحيث كانت تلبية نداء جبهة التحرير شاملا ومسموعا ، والالتحاق
 عاصفا ومؤثرا على غرار اتحادات أخرى رائدة كالإتحاد العام للعمال الجزائريين وغيره .

السيدات الفضليات ، السادة الأفاضل:

ما قيمة التاريخ ، إذا كان قراءة للأحداث ، دون استيعاب ، ولو كذا للماضي دون عبرة ، وتغنيا
 به من غير استخلاص الموجب الخلاق ، لإثراء الحاضر بالتجارب العظيمة ، ومده جسرا إلى
 المستقبل بمزيد من التصميم والحماسة والإقبال .

إنه الدرس الذي يهز منا السواكن ، ويشحذ فينا الإرادة ، ويهيئ للنائشة السبل القويمة ، لتتعظ
 الأجيال بعبر أسلافها ، فالمستقبل زرع الحاضر الذي حصدنا حصائله من ماضٍ مجيد .

إنني أدعو الناشئة على الاستلهام من مسيرة هؤلاء الذين كانوا في مثل سنهم ودوره ، فتصالحوا
 مع عصرهم ، وأدركوا تحدياته ، وتعاملوا معها بوعي ومسؤولية ، متخذين آليات موضوعية
 للفرز الصحيح ، في كل ما طرحه الواقع عليهم من تحديات وأثروا المصلحة العليا على حياتهم
 ومستقبلهم ، وإذا كانت معركة هذا الجيل بالأمر هي من قبيل معارك الوجود ، معارك حياة أو
 موت ، فإن أجيال اليوم ، لكل واحد منها ، له مكانته في وطنه ، له حقه وعليه واجب لا يُخل به .

لئن لم تستطع الدولة حتى اليوم توفير المستلزمات لكل فرد تحديدا فإنها لا تني تعمل بلا هوادة
 على تحقيق المصلحة العامة ، وعلى توفير الفرص للجميع ، بتوفير مواطن شغل ، ومقاعد للدراسة
 المجانية لكل متدريس ، وتفتح مراكز التكوين المهني ، لاستيعاب المتسربين ، أملا منا بتمكين كل
 شابة ، وكل شاب من شهادة ، أو مهنة تخوله العمل بمقتضاها حفاظا على حياته الكريمة ، كمواطن
 له مكانته في المجتمع ، وكفرد فعال في بناء التنمية الوطنية الشاملة .

ويجب أن لا يغتر البعض ، بما تروجه الوسائل الإعلامية الجبارة ، من إغراءات بحياة جنات
 النعيم ، تحت سموات أخرى ، إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وإنما الحكمة في الصبر ،
 وفي العمل والكد والمثابرة ، وعدم الترفع عن طبيعة المهن والأعمال المختلفة ، والتي قد يستهان
 ببعضها لكنها تدر خيرا عميما ، إذا اتقنت بمهنية ، وتم الاعتناء بها عن وعي وحب .

فمن غير المعقول ، ومن غير الأخلاقي أن يغامر شبابنا تحت وطأة الإغراء ، والتغليب ،
 فيرمي بنفسه إلى التهلكة عبر ركوب المخاطر فيبلى دون طائل ، لتجني من مأساته دوائر مشبوهة
 المنافع والأموال فلا ديننا الحنيف يقر بذلك ، ولا القانون ولا الأخلاق الحميدة .

إن التفرير بالشباب في أي اتجاه ، والإلقاء به إلى مهالك ضارة بالتطرف في الدين السمح ،

أه بالاستهتار بالحياة التي كرمنا بها الله عز وجل، أو بالفساد الخلقي والإغراق في الموبقات، كلها آفات مدمرة للفرد والمجتمع ولا يُحصَدُ منها إلا الوبال والانحطاط.

وبالرغم من بعض الصور القائمة، فإننا على يقين من أن شباب الجزائر الذي ظل على الدوام المحرك الأساسي لتطور التاريخ والمفعل القوي للتنمية الاقتصادية سيعرف كيف يقهر المصاعب، وكيف يتجاوز المحن التي تعترضه ليشق طريقه بنفسه بكل ثقة واقتدار، وسيكشف زيف المتربصين به، الساعين إلى اللعب بفورة الشباب لديه، عبر جملة من الأفكار المخطئة، والنوايا المبيتة ولا أرى في شباب اليوم إلا صورة أخرى لشباب الأمس كفاءة واقتداراً وحباً للوطن واحتراماً لقيم الأمة، ودفاعاً عن وحدتها وسيادتها وروقيها.

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

أجدد تقديري وعرفاني لأهلنا في الجنوب مرابطو تلك الربوع التي انصهرت فيها الأعراق وتصالحت في جوفها المذاهب، وتآلفت فيها القلوب، وتصاهرت الأسر الجزائرية عبر القرون، وجسّر بينها اللسان المبين الواحد، وسامها الإسلام سوّم عزّ بسماحته ولطفه وسلامه، وآوت على نفسها في المحن والأقراح تدرأ الخطوب، برجالها ونسائها الذين تحسبهم شتى وقلوبهم واحدة، وفي المباهج والأفراح، يغتبطون ويسعدون، كما لو كانوا نفساً واحدة، إندبها الله لتكون نبراساً لدعوته المباركة للمحبة والتآلف والتعايش، كيف لهذه اللحمة، وهذا الهدى الرباني العظيم، أن يغدو في لحظة طيش، وفي غفوة من الضمير الجمعي، نزقاً وانحرافاً، يحمل فيه الشقيق لشقيقه الخراب، ويبطن فيه القريب للقريب الارتياح فيتسلل الحمق من وطأ الفتنة النائمة، ليخاثل الحكمة، ويغالط الضمير فيذكي الشنآن الأفئدة المطمئنة الأحقاد الباطلة، فتتهاج النفوس الآمنة بما لا تدري، حتى يخيّل للنّاظر الغريب أن السّماحة والأواصر الممدودة في أعماق التاريخ هي استثناء، وحاشى أن تكون كذلك.

لقد فشلت جميع مشاريع الفرقة والتقسيم، لقد انكسرت مؤامرات الاستعمار وفلسفته منذ العصر الروماني، القائمة على مبدأ مغلوّط فرق نفسه فشلت جميعها وباءت بخسران مبین، أمام صمود روح الوحدة والتآخي الوطني وأمام رجالنا الذين ديدنهم الحكمة، ومبدؤهم العزة والكرامة وحرصهم على شرف الانتماء لوطن وشعب وحضارة صاغها التاريخ من صلب المحن، ومن روح التضحيات ومن معاني الفروسية والشهامة والمجد.

ولئن ابتليت بلادنا بظاهرة الإرهاب المقيت، حتى ظن بعض ضعاف العقول، أن في الجزائر أزمة عقيدة، ومحنة مجتمع، ولما حصحص الحق، وتفتت الأوهام، وعلمت كل نفس مبتغاها، بفضل الخيار الإستراتيجي لامتنا في الوئام والمصالحة الوطنية، انقشعت غيوم الوهم، وسقطت الأقنعة الزائفة، وأدرك القاصي والداني، أن المرض عام في كل المعمورة، وليس حكرًا على قطر

أو بلد، وأن علاجه الشافي يكمن في العودة إلى الحكمة، وفي الرجوع إلى إرادة الأمة، واستنهاض هممها، وتذكيرها بواجباتها التي اضطلعت بها خير اضطلاع فجاءت تلك الهبة المقدامة، وذلك السعي النبيل إلى نبذ الفرقة والشنآن فإذا الذي بينه وبين غيره غلّ غدا كأنه ولي حميم.

السيدات الفضليات، السادة الأفاضل:

من أفاضل الله علينا، أن قد جمعنا تحت راية واحدة وفي وطن واحد، له ماضٍ مشترك، وعزنا بالإسلام ديناً، وأخى بين قلوبنا، وأغدق علينا من رزقه الوفير، حتى غدا بلدنا هدفاً للطامعين، ومسعىً للمتربصين، الذين كلما حدثتهم نفوسهم بنا سوءاً رُدوا على أمتابهم خائبين خاسئين.

فليس في الجزائر كما في بلدان أخرى اختلاف في المذاهب والأعراق والديانات والأهواء، فكل ما لدينا موحد كتوحيدنا لله الواحد، وكل ما لدينا يصب في معين التكافل والتفاهم والتوافق والعمل من أجل حماية الوديفة التي استودعنا عليها الشهداء الأبرار، والعلماء الأخيار، والأجداد الكبار.

وما من أزمة، ومن مشكلة أو مأساة في بلادنا إنما هي قسمة بيننا نتأسى لها جميعاً ونهب لنحلمها جميعاً، ومن تحدثه نفسه سوءاً بنا فسيجد كل الجزائر له بالمرصاد.

فاتقوا الله أيها الناس في وطن عزه الله بكم، فأعزّوه ترتبت أيديكم. أرفع صوتي بالدعاء إلى من يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، بأن يغمر أرواح شهدائنا الذين عبدوا لنا طريق العزة والكرامة بتضحيات جسام، وأن يتمتع رفاق الدرب من المجاهدات والمجاهدين بالصحة والعافية، ويمكن لنا شئتنا من أسباب الرقي والسؤدد بما يجعلهم خير خلف لخير سلف.

والله ولي التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم عبد العزيز بوتفليقة